قيد الانتظار

سارة عاشور

في يوم حار للغاية، تلك الحرارة التي تذيب عقلك وتجعلك تشعر بلزوجة وثقل الهواء وكأن جزيئات الماء تتماسك مع بعضها فتُشكل حائط صد بينك وبين استمتاعك بنسمة هواء فتتسابق أنفاسك في ماراثون طويل يبدو لك بلا شريطة حمراء تقطعها وتُعلن نهايته.

ما يُثيرني أكثر بهذه الأيام - بجانب التقليل من ثقل الملابس فوق جسدي - أن أرقص.

مع حركة يدي سترى همومي تُهدر بوجع، فهي لا تذهب عنك دون قتال أبدًا، تأتيك في منتصف الليل وتتسلل لعروقك بهدوء شديد لا تكاد تلحظها ثم تنتشر داخل جسدك حتى تكاد تمزقك.. تحركات جسدي مع الموسيقى أحيانا تُلقي بها عني..

هناك أشياء تتراكم داخلك أو أنت فقط تضعها بالأركان حتى امتلأت بالأتربة وبدأت التراكمات تتآكل.. هل كان هذا ما ترنو إليه منذ البدء؟

أن تأكل هي نفسها بنفسها طبقًا لعوامل التعرية التي أوجعوا رأسك بها وأنت طفل وبقيت لسنوات تلعنهم لأنك لا تعرف ما أهمية دراستك لعوامل التعرية وأنت تسكن بمدينة لا يحدث بها أي شيء؛ فلا جديد.. لا تعرية ولا ملبس!

غرفتك صارت تُشبهك أو ربما كنت تدير المشروعين على التوازي مع بعضهما، تركن هنا وهناك وداخلك فصارت الأشياء بعيدة عن عينيك تحت سريرك

وداخل مكتبك؛ فالمهم أن تكون الرؤية أمامك جليَّة بغرفة توحي بالترتيب، بينما لو تُرك العنان لما بها لانفجرت في وجهك مُعلنة رفضها، هذا ما تُريده التراكمات داخلك حتمًا.

فما تشعر به من حين لآخر كارتجاج في داخل عقلك هو فقط محاولة البركان أن ينفجر ومحاولة عقلك أن يقمع هذا الشغب الذي لا وقت ولا مكان له الآن؛ فهي فترة حياتية مهمة بحياتك؛ حيث تُخطط وتُخطط، ولا شيء يحدث!

وهنا تكمن أهميتها بالضبط، فلا شيء يُحرك هذه المستنقعات داخلك وحولك والرائحة بدأت تخنقك والبركان يضغط على أعصابك وأنت تبقى تملأ الأوراق بالأحلام وتنفذها بالأحلام هنا على سريرك.

وهذا هو كل ما ستصل له.. فأنت حيث المدينة التي لا يحدث بها شيء..

فلتنفيذ الأحلام تحتاج للمال، وللإتيان بالمال تحتاج للعمل، والعمل يحتاج لشخص ذي موكب مهيب ومكانة مرموقة لينظر نحوك من علو شأنه ويهز رأسه ليُعلن أنه سيتنازل ويقبل أن يتوسط لك وليكن الله في عونه وعون من سيقبل أن يوظفك لديه وما يفعل ذلك سواء ابتغاء لمرضاة الله والخمسة آلاف التي ستدفعها وفقط؛ لذا سيقف كل شيء أمام المال محنيًّا ذليلاً منتظرًا عفوه ورضاه ليُعطيك إشارة البدء.

ستبقى هنا في المدينة التي لا يحدث بها شيء وفي غرفتك التي ستنفجر بك قريبًا قبل عقلك، لا تقلق، لن تعاني الصداع في وسط ذلك الانفجار فلا ينقصك سوى ذلك فوق همومك الأزلية التي لا يُريد المال أن يتكرم ويزيحها عن كاهلك ولو قليلًا، ثم تستمع لصوت الموسيقى الآتي من جارتك الحسناء التي تُهوِّن على نفسها بالرقص وتُهوِّن عليك بالتلصص عليها ومتابعتك الشغوفة لها، كطفل شريد ينظر من خلف نافذة محل الحلوى التي يرغب في غمر رأسه بها وعدم رفعها إلا وهي خالية تمامًا من الهواء ومليئة بالجمال.

هي تنثر همومها يمينًا ويسارًا وتتلوى في وجع وليس باستمتاع كما يجب أن يكون من يُحب الرقص أن يكون مُستمتعًا.
ولكن هل تتراكم همومها المنثورة أيضا مثل همومك أم تذهب لحال سبيلها كثعابين الليل تجري نحو جحر جديد لا تنكشف ولا تقتل فيه؟
في هذه المدينة التي لا يحدث بها شيء لا أجد في أوقات كثيرة ما أفعله سوى الرقص، فلا يوجد مال لأنتشل نفسي من هذا المكان ولا أجد الشخص المناسب الذي يملكه، لا أملك مقومات إيقاع أحد الأغنياء بغرامي ولا أجد في ذلك شيئا جيدا - أصلاً - كي أفعله، فلذلك أنا قيد الانتظار.. الوظيفة ذات مرتب يكفيني بالكاد كي تمر أيام الشهر دون أن أتسول أو أموت من الجوع.. لُقيمات صغيرة يوميًّا تكفي وأعيش، ولهذا مميزاته أيضا، فأنا أحتفظ بقوام ممشوق ليس لأني أتعفف عن الطعام بالريجيم كي أبقي نفسي في ذلك الحيز الذي يوافق عليه المجتمع، لكن لأني لا أجد ما يجعل وزني يزيد فلننظر للنصف الممتلئ إذًا، فلن أتحمل الاكتئاب وتبعاته وما من مضاد جيد له أستطيع تحمل تكلفته سوى الرقص، هو رقص غير ممتع في معظم الأحوال لكنه ملهاة رائعة ويُساعد أيضا في الحفاظ على القوام، إذًا كل الطرق الآن تؤدي للتفاؤل، فلا شيء يستدعي الاكتئاب أو حتى تلك الدموع التي تتساقط ليلاً على الوسادة ولا أستطيع منعها، سأحاربها بالنصف الممتلئ، فهذه المدينة لا يحدث بها شيء لا داعي لأن أخسر أعصابي أيضا.
هي المشهد اليومي الذي أنتظره بفارغ صبري، أصارع دقائق يومي التي تبطئ متعمدة ألا تمر كي لا أراها..
أشاهدها وهي تجلس في اليوم نفسه بكل عام إلى الطاولة وتُرتب أمامها أشياء كثيرة لا أستطيع تبينها، ثم تبدأ عند دقة الساعة الثانية عشرة مساء في تحريك يدها على شعرها وهي تُتمتم بشيء ما وتبدأ في تحرير جدائل شعرها وهي تحرك يدها خلال خصلاته وكأنها تبعد عنه أشياء عدة.

بعد أعوام بدأت في قراءة شفتيها وهي تُحركها خلال هذا الطقس الذي يبدو وكأنه شيء قبائلي للاحتفال بعامها الجديد أو هذا ما استنتجت. كانت تُتمتم بـ...

قولي للي غنى للحلوين يا يُمه.. فيه حليوة منسية ما عاد تسمع غناه..

قولي للي قال للصبايا الملاح إن روحها متعلقة بإيدينه.. فيه صبية لساتها هنا والروح لها ما عادت..

وإن تراها ستظن أن هناك قبيلة تدور حولها ترقص لتطرد عنها الأرواح الشريرة كما يفعلون في مجاهل أفريقيا. تُطفئ الشمعة الوحيدة أمامها عندما تنتهي من إعادة تجديل شعرها بالحزن ثم تجلس بالظلام لبعض الوقت وعندما تُرهق تذهب لتنام.

أحيانا أظن أن هناك من يُراقبني، لكنني لست متأكدة من ذلك تمامًا، ربما هي الوحدة تُصور لي أنه هناك حتمًا من يهتم لوجودي بالعالم وأنني فقط وحيدة لحيائه من أن يتكلم معي أو حتى يُصادقني.. لن أمانع ذلك، فما حاجة أن نبقى كلٌّ في وحدته على حدة، يمكننا أن نكون وحيدين معًا، أبقى بعالمي ويبقى بعالمه حتى يأتي ذلك اليوم الذي تتداخل به عوالمنا ونلتقي في المنتصف كما وُعدنا.

«يُخلق الإنسان في بدء الأمر بوجهين وأربع أذرع وأربع أرجل وقلبين ثم يضحى اثنين يتقاسمان الروح نفسها ومهمتهما في الحياة أن يبحثا عن بعضهما ويلتقيا ليكملا بعضهما البعض».. هكذا كانت تحكي لنا المعلمة بالمدرسة وما ثبت برأسي أي شيء سوى هذه الأسطورة وأغنية أمي وهي تُجدل لي شعري: «قول للي قال للصبايا الملاح إن روحها متعلقة بإيدينه.. فيه صبية لساتها هنا والروح لها ما عادت».. فبشكلٍ ما كانت الاثنتان تُشكلان صورة مُتكاملة لهذه الأسطورة العتيقة وبقيت تحت قيد الانتظار لعودة الروح لكن كما غنت لي أمي فهي ما عادت.

سأستجمع شجاعتي ذات يوم لأصارحها بكل تراكيبها المختلفة المطبوعة

بأيامي، سأتلو عليها فروض ولهي بها لأضعها بالمرتبة التي تستحقها بهذه الحياة، فهي ملكة ولا تستحق أقل من ذلك، لكن قبل شجاعتي أحتاج للسخيف المسمى المال، فلا ملكة تبقى على عرش خالي الوفاض.. يومًا ما ستكون لي..

obeikan.com